

## جمالية الانزياح التركيبي في شعر سليمان العيسى

## ديوان الجزائر نموذجاً

L'esthétique de l'écart syntaxique dans le divan de Souleymane Elaissa  
Corpus; « Le divan de l'Algérie

د: عبد القادر بعداني

جامعة الشلف/الجزائر

## الملخص:

الانزياح هو مصطلح بلاغيّ غربيّ ترجمه النقاد العرب عن المصطلح الفرنسيّ: Ecart، ويُقصد به تنبُّع انحراف الكلام أو الجملة دلاليّاً أو تركيبياً عن نسقتها المعروف.

الانزياح التركيبيّ: يرى النحاة واللغويّون أنّ النحو هو أساس الوصول إلى أصل المعنى، بينما يقوم الانزياح بالارتقاء بالنصّ جمالياً، والإسهام في تقديم الدلالات الهامشيّة التي تزيد الخطاب رقيّاً في الفنّ وعمقاً في المعنى، به ترقى على التسطّيح.

عالجت في هذه الدراسة بعض مظاهر الانزياح النحوي في ديوان سليمان العيسى وهي:

1- التقديم والتأخير. 2- الحذف.

## Résumé:

L'écart est un terme rhétorique occidental introduit dans la littérature critique arabe par le biais de la traduction. Ce terme signifie la déviation de la parole ou de la phrase de son ordre syntaxique ou sémantique habituel. Il exige, par conception, de traiter la langue en s'appuyant sur les deux niveaux suivants:

- 1- Le niveau ordinaire consistant à la performance optimale du système linguistique.
- 2- Le niveau créatif visant la violation de ce système.

En outre, s'agissant de l'écart syntaxique, les grammairiens et les linguistes considèrent que la grammaire fait le support par lequel l'origine du sens pourra être atteinte. En revanche, l'écart, syntaxique dans ce cas, participe à l'épanouissement esthétique du texte en lui versant des

significations supplémentaires et consacrant, de cela, son appartenance artistique et davantage de profondeur au niveau du sens, en obviant, par conséquent, à toute sorte de superficialité.

Dans cette optique, nous avons révélés, dans cette recherche, certains aspects d'écart grammatical dans le divan poétique de Souleymane Elaissa comme : 1- Les changements au niveau de la chaine thématique. 2- L'ellipse.

En conséquent, nous avons constaté que la favorisation de l'écart, quel qu'elle soit sa catégorie, dans un texte ou une œuvre esthétique lui rendra distinctive comme s'est manifesté remarquablement dans le divan de Souleymane Elaissa: « Le divan de l'Algérie », comme étant des phénomènes d'écart au niveau des structures linguistiques.

### الكلمات المفتاحية: الانزياح، التركيب، الانحراف، النص، الخطاب.

Mots clefs : L'écart, **syntaxique**, déviation, texte, discours

عرف العرب ظاهرة الانزياح بمستوياتها المختلفة، ممارسة ولم يعرفوها كمصطلح يرقى لنظرية

أسلوبية عربية. فدرسوا اللغة من مستويين:

أ- مستواها المعياري في الأداء العادي.

ب- مستواها الإبداعي الذي يعمد إلى خرق المعيارية وانتهاك قواعدها.

وللانزياح عدّة مسمّيات ومصطلحات، نشأت من اختلاف الترجمة، وتعدّد المصطلح عند

علماء الغرب أنفسهم، ذكر عبد السلام المسدي مجموعة من تلك المصطلحات نذكر

بعضها:

أ- الانزياح écart لصاحبه فاليري.

ب- الانحراف la deviation لصاحبه سيبتزر .

ت- الانتهاك la viol لجان كوهن<sup>11</sup>

الانزياح له أثر إبداعي كبير في التركيب اللغوي في النص، إذ يحرك ذهن المتلقّي لسماع ما يلقى

عليه باستمتاع، ويعبّر بكل حرّية عمّا يدور في نفسية الشاعر .

"مما لا ريب فيه أن العناصر اللسانية في الخطاب المنطوق أو المكتوب تخضع لإزاميا لسلطة الطبيعة الخطية للغة، فهي إذ ذاك ترتبط فيما بينها بعلاقات، تقتضيها طبيعة اللسان اقتضاء<sup>iii</sup>"

الانزياح التركيبي:

يرى النحاة واللغويون أن النحو هو أساس الوصول إلى أصل المعنى، يقول عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخلُ بشيء منها<sup>iv</sup>". يعتبر عبد القاهر الجرجاني ظاهرة الانزياح في الأسلوب ميزة كبيرة للشعر، إذ يصبح أصل الفائدة، ومبعث الرقة وسبب الاستمتاع<sup>v</sup>.

بينما يقوم الانزياح بالارتقاء بالنص جماليا، والإسهام في تقديم الدلالات الهامشية التي تزيد الخطاب روعة في الفن وعمقا في المعنى، ترقى به عن السطحية.

وبقدر ما تنزاح اللغة عن الشائع المعروف تحقق قدرا من الشعرية<sup>vi</sup>. فالانزياح جاء ليخدم الفريدة في النص الشعري، مختلفا عما اعتاده الناس من خطابات على أنماط معيارية، فالشاعر المبدع يفجر الطاقات اللغوية ويجعلها ولادة لتراكيب لم تكن معروفة من قبل.

الديوان الذي اخترته للدراسة هو: ديوان الجزائر "شعر الثورة"، جمع فيه الشاعر كل ما جادت به قريحته عن الجزائر أثناء الثورة وبعدها، وقد وجدت فيه انزياحات في التراكيب اللغوية قوية الدلالة وذات جمال تعبيرى مميز، ساخطا على فرنسا ومنندا بأعمالها الإجرامية المنتهكة لحقوق الإنسان، ومفتخرا ببطولة المجاهدين الجزائريين الذين حطموا أسطورة الثورة الفرنسية ومبادئ الإنسانية التي جاءت بها.

أولاً: التقديم والتأخير:

إنّ قصائد سليمان العيسى في ديوان الجزائر موجهة لكافة العرب، ليقرأوا عن بطولة الجزائر وأحراره في النضال والدفاع عن الحرية، مجسداً مشاعر الحب للمجاهدين، والتأسف والتحسر لما آلت إليه مبادئ الثورة الفرنسية القائمة أساساً على مبدأ حرية الفرد وكرامته، وسنحاول استخراج مظاهر الانزياح التركيبي في هذا الديوان.

اهتم العرب القدامى بدراسة البنى التركيبية، فدرسوا الجملة وبنوا النظام الذي يحكم وحداتها، والعلاقة التي تولف بين عناصرها. ومازال علماء الأسلوبية يبحثون في ظاهرة الانزياح وأنها عنصر هام في إثراء اللغة الشعرية، وجعلها أكثر جمالية للوصول إلى الدلالة الخفية، وجعل القارئ يقبل على النص الشعري بشغف والحرص على مداومة النظر في التركيب الذي يقوم على الاختلاف والمغايرة والجدة في البناء والصور. ومن ذلك قول سليمان العيسى في قصيدة صلاة للنسور:

صلاتي الحرّى لهذا الصّامدِ النّحيل  
والصّمت من حويله صخرٌ باردٌ ثقيلٌ  
والماء نزر النزر، والطّعام  
تُنلقى على مسمعه أنشودةُ السلام  
كأنما هو الذي يعكّر السّلام  
وكوخه مهّدّم  
أنقاضه على بنيه تردم  
ليلهو الجنود يقسم  
ليعبثوا .. بعد العناء الضخم، والجهود

فقد أبادوا أمس قريتين

وأسلموا للنّار أخريين

وصلبوا ألفين

وشردوا ألفين

ونهبوا ما أثقل اليدين

ووظدوا دعائم المجد بساعتين<sup>vii</sup>

يحتوي هذا المقطع على تقديم في قوله:

والصّمت من حويله صخر بارد ثقيل

والأصل في التركيب أن يقول:

والصمت صخر بارد ثقيل من حويله.

يحمل هذا التعبير دلالات متنوعة ومختلفة من ذلك: الصمت يمثل سكوت الحلف الأطلسي عما يجري في الجزائر من جرائم وإبادة وهو ضوء أخضر لفرنسا بأن تمارس الإبادة ضد الشعب الجزائري الأعزل. وصخر بارد يمثل صمود الشعب الجزائري بقيادة جبهة التحرير وجيشها الصامد في وجه الظلم والاستبداد.

وفي السطر صورة مقابلة بين الصمت والصخر، الصمت الذي يمثل العدوان والصخر الذي يمثل المقاومة. جاء التقديم ليجعل الصمت بأبعاده النفسية والتاريخية مقبرة للمعتدين في المقطع، وقدم شبه الجملة " من حويله" على الخبر وفي ذلك جودة في التأليف وبراعة في السبك<sup>viii</sup>.

فلو أخرج شبه الجملة أي " الجار والمجرور" لم يكن السطر حسن التأليف، ولكان المعنى عاما لا يفيد التخصيص، وحين نمعن النظر في الجملة التي وقع فيها التأخير، نلاحظ أنها جملة اسمية

تفيد بواقع النضال الصعب وأن أهله لا يكفون ولا يملّون، لما في الجملة الاسمية دلالة على الديمومة والثبات. وكذلك نلمس التقديم والتأخير في قوله:

تلقي على مسمعه أنشودة السلام.

والأصل في الجملة: تُلقى أنشودة السّلام على مسمعه.

ولكن الشاعر عدل عن هذا الأسلوب الذي لا يخدم شعرية النص، كما نجد في التقديم نوعاً من المقارنة بين ماضي الشعب الجزائري المجيد الذي يمثل السلام وحاضره المههد من طرف الغزاة دعاء الحرية والسلام. وأشار إلى قوله:

أنقاضه على بنيه تُردم.

يبرز تعسف وطغيان القوة الظالمة المستبدة، كما نجد يسيطر الدمار والخراب على الشاعر، ولا يستطيع الفرار منه، ويظهر واضحاً في هذه الأبيات، نستنتج الدمار من قوله: " أنقاضه" وجاء شبه جملة " جار ومجرور" متقدماً على الخبر الذي جاء جملة فعلية فيحمل دالتين:

1- دلالة ترمز إلى طموح الشعب الجزائري إلى الحرية، وإلى رفض الاضطهاد والظلم والاستعمار.

2- دلالة حقد المستعمر وتخريبه لكل معالم حضارتنا العربية الإسلامية الأمازيغية في قوله: " تردم".

وفي سطر آخر نجده يقول:

وأسلموا للنّار أُخْرِيَيْن.

وأصل الجملة أن يقول: وأسلموا أُخْرِيَيْنِ للنار. إلا أن الشاعر عدل عن هذا الأسلوب الإخباري السطحي البعيد عن الشعرية إلى تقديم شبه الجملة " للنار" على المفعول به، ليوضح معاناة الشعب الجزائري والآلام التي أصابتهم والنار التي أحرقتهم، كما نلمس في هذا التقديم أكلوبة مبادئ الثورة الفرنسية الداعية لتمجيد الإنسان وتكريمه. والنار ترمز للقهر المسلط على الشعب

الجزائري الذي يحلم بالحرية والعيش الحسن، كما تشير إلى حالة السجن النفسي الذي يعيشه هذا الشعب المضطهد. كما نجد الشاعر اعتمد على التناص مع قصة صلب السيد المسيح حين قال:

" واصلبوا ألفين<sup>ix</sup>."

ليقف على مزيد من جماليات النص الشعري، وتوظيف الرمز الديني، بأن الشعوب العربية وعلى رأسها الشعب الجزائري لا ولن يقهر، فكما أنّ المسيح لم يصلب فكذلك الشعب الجزائري لن يغلب. قال الله تعالى: " وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ<sup>x</sup>."

#### ثانيا: الحذف

عالج العرب قديما ظاهرة الحذف في دراستهم النحوية والبلاغية، باعتبارها انزياحا عن التعبير المعياري العادي، وحذف عنصر ما في الجملة لا يعني غيابه لفظا ومعنى، بل معناه باق في البنية العميقة، وهذا ما يحفز القارئ للبحث عن استحضار النص الغائب وبيعه عن التلقي السلبي السطحي، ويدعو إلى انفتاحية الخطاب على آفاق غير محدودة، ويعطيه رقيا وجمالا، قال عبد القاهر الجرجاني: " والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذب أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأنم ما تكون بيئا إذا لم تُبِن<sup>xi</sup>."

يؤكد الجرجاني هنا أنّ التلميح قد يكون أفصح من التصريح، وأنه يفتح آفاقا مفتوحة بدون حدود للنص اللغوي يجعل المتلقي يسبح في أغواره، وفي مواقف عدة يكون الصمت أبلغ من الكلام. وعبر عن هذا الموقف نزار قباني حين قال:

فإذا وقفت أمام حسنك صامتا

فالصمت في حرم الجمال جمال

كلماتنا في الحب.. تقتل حبنا

..إنّ الحروف تموت حين تقال.

واستعمل سليمان العيسى الحذف حين قال في قصيدة: "وتتابع المطر"، كان ذلك حين التقى

الشاعر بممثل جبهة التحرير الجزائرية بحلب في 1961:

.. ورمى إليّ بنظرة الألم الذي قهر الحياة

ومضى يخطّ مصيره حرّاً، وينشئ كالإله

وددت لو لملت عن شفتي سؤالي:

ماذا عن الجيش العظيم؟

عن الصقور؟

عن الجبال؟

فهذه بداية مستقطعة فيها الإحالة على ضمير الغائب، وبداية الواو العاطفة، وبداية نقاط، لأن

أصعب لغة الشعر بدايتها، حيث يصعب التخلص من الصلات النفسية الأولية التي تسبق

إعلان الخطاب، وقد ترجمها الشاعر بالفراغ المتقطع والواو العاطفة على محذوف، تبدو بداية

النص مستأنفة على كلام محذوف مقدر مفهوم من سياق الخطاب أو بلاغة فن الحكيم، وحين

نستقرئ المحذوف وتأويله، نجد متعلقاً بشخص ممثل جبهة التحرير الوطني بكلّ مستتبعاته

الثورية، درس الباحثون استنباط المحذوف وتقديره مما هو لاحق بأولية الخطاب غير أنّه في

عبارة السطر الشعري يبدو التآول سابقاً للمعلن المذكور، وهذا إبداع في لغة الشعر كفيل بأن

يمتثل ظاهرة أسلوبية جديدة بالاهتمام. يحتمل الفراغ المؤول عدة قراءات، وهو حيز يستدعي كل

قارئ ويستوعب كلّ متآول حيث يبدو الخطاب مفتتحاً قبل الصّورة الخطّية للنص، فالارتداد

التأويلي الذي يستدعي في السطر الشعري رجعة إلى المضمّر المحذوف في مفتتح الخطاب،

يستطيع أن يعدّد القراءة ويمنح الخطاب الشعري قيمة تجددية.



كما نجد حذفاً في قوله:

الشَّعر والرَّشَّاش في

معارك الأبطال

كلاهما يا شاعري

من عدَّة القتال

الشَّعر والرَّشَّاش

عاش الكفاح عاش<sup>xii</sup>.

جاء الحذف في قوله: الشَّعر والرَّشَّاش والمحذوف هو ينطقان أو يحاريان، وتشكّل السطر الشَّعري على هذا المنوال يوحي بعدة دلالات.

أولاً: أنّ نتيجة الشَّعر وتأثيره في تحريك حماس الشَّعوب معروف، كما أن دور الرَّشَّاش في استرجاع الحقوق معروف، والعرب قديماً قالت "المعروف لا يعرّف".

ثانياً: أنّ الكلمة التي رمز لها بالشَّعر، والقوّة التي رمز لها بالرَّشَّاش متلازمان، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما للدفاع عن الوطن، فالشَّعر يبعث في النَّفس قوّة المجاهدة والمغالبة لحمل الرشاش للدِّفاع عمّا يطلبه الشَّعر، وبذلك يعطي الخطاب الشَّعري هيبة في النَّفوس، ويجعلها مستعدة لتقبُّل ما يلقي عليها.

ثالثاً: لو لم يلجأ الشَّاعر إلى الحذف، وقال الجملة كاملة الأركان كأن يقول: الشَّعر والرَّشَّاش متلازمان، لكان الخطاب في إطار محدّد، ولم يكن مضمون النَّص اللُّغوي مفتوحاً على فضاء أوسع.

ونجد في النَّص صراعاً نفسياً قوياً لدى الشَّاعر بين الإعلان والإخفاء، حيث موضوع الثورة يتطلب البساطة والتفصيل والإشهار، وفي المقابل لغة فن الشعر تتميز بالإخفاء والتمويه،

وهو الطابع الذي يمنح القصيدة شخصيتها الفنية ، خاصة وأن القصيدة واقعة في نظام الشعر الجديد الذي يستدعي ثورة في كل أدوات التعبير الإيقاعية والدلالية.

### المصادر والمراجع:

1- **الانزياح وتعدد المصطلح**، أحمد محمد ويس، عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة

والفنون والأدب، دولة الكويت، المجلد 25، العدد 03، يناير، مارس، 1997

2- **بلاغة الخطاب وعلم النص**، صلاح فضل، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996،

3 دراسات في اللسانيات التطبيقية **أحمد حساني**، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر، د، ط، 1994.

4- ديوان الجزائر، شعر الثورة، سليمان العيسى، ط1، 2010، أطفالنا للنشر والتوزيع،

5- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،

6- عبد الرحمان حسن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، القلم دمشق، ط1، 1996

7- بنية اللغة الشعرية، كوهن جان، ت/ محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال،

للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1988

i- **الانزياح وتعدد المصطلح**، أحمد محمد ويس، عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، دولة الكويت، المجلد 25، العدد 03، يناير، مارس، 1997

ii- **ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص**، صلاح فضل، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996، ص: 80.

iii - دراسات في اللسانيات التطبيقية أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر، د، ط، 1994، ص: 9.

iv- الإعجاز عبد القاهر الجرجاني دلائل المكتبة العصرية بيروت د، ط، 2003 ص: 128.

v- ينظر: عبد القاهر الجرجاني دار المدني، جدة، ط، 3، 1992، ص: 106

vi- ينظر: بنية اللغة الشعرية، كوهن جان، ت/ محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال، للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1،

1988، ص: 182.

vii- ديوان الجزائر، شعر الثورة، سليمان العيسى، ط1، 2010، أطفالنا للنشر والتوزيع، ص: 147

viii- ينظر: عبد الرحمان حسن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، القلم دمشق، ط1، 1996، ص: 206.

ix- ديوان الجزائر، شعر الثورة، سليمان العيسى، ط1، 2010، أطفالنا للنشر والتوزيع، ص: 147.

x- النساء، 157.

xi- دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ص: 146

xii- ديوان الجزائر، شعر الثورة، سليمان العيسى، ط1، 2010، أطفالنا للنشر والتوزيع، ص: 254